مجلة الرائد

العدد : ٢٢٩ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٧ ميلادي

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

لماذا أمست مأساة فلسطين من القضايا المستعصية في العصر الحديث ؟!

لأن الأسباب التي أوجدتها ما تزال قائمة ومستمرة ، ونتج عنها : مسلسل دموي رهيب ، ومأساة شعب أعزل احتُلَّت أرضه وسُلبت ممتلكاته واغتصبت حقوقه ، ولا تزال كرامته تُداس صبح مساء .. على مرأى ومسمع من العالم !!

وأنا لا أود في هذه العجالة أن أغوص في مسلسل الآلام والجراح الثخينة لشعبنا الفلسطيني الأبي .. لكنني أوجه نداء إلى كل ذي روح كريمة وعقل حر مستنير ، وإلى ضمير الإنسانية قاطبة لعله يَذكر أو يُلقي السمع وهو شهيد .

إن المجازر البشعة التي ارتكبت في حق شعب فلسطين لا تعد ولا تحصى !!

هل نبدأ بدير ياسين ؟ تلك القرية الآمنة التي كانت تقع على بُعد كيلو مترات من القدس ، والتي فوجئ سكانها في وقت الفجر يوم ٩ نيسان/أبريل من عام ١٩٤٨م وهم نيام بقوات صهيونية تقتحم ديارهم ؛ وتتكون هذه القوات من عصابتين إسرائيليتين عريقتين في القتل والإجرام : عصابة الأرجون بزعامة مناحيم بيجن وقوات شترن التي يتزعمها إسحاق شامير - وكلاهما صار رئيس وزراء للصهاينة - . وبدأت العصابتان في حصد الأبرياء العزل دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء وغيرهم ، فتمت تصفيتهم بشدة وبمختلف أنواع الأسلحة .. حتى سقط خلال زمن وجيز ٢٥٤ من المدنيين العزل !! ولم يكف هذا عصابات الإجرام ، بل أقدموا على التمثيل بالموتى وبتر أعضائهم ، وألقيت الجثث في بئر القرية بعد المراهنة بينهم على من يلقي بأكبر عدد ممكن من الضحايا !!؟ .

وعقب هذه الجريمة الشنعاء أرسل مناحيم بيجن رسالة تهنئة إلى قائد عصابة الأرجون المحلي قائلاً : " تهنئتي لكم لهذا الانتصار العظيم وقل لجنودك إنهم صنعوا التاريخ في إسرائيل " - بدون تعليق ! - . وبعد شهور قليلة من المجزرة البشعة احتل دير ياسين الصهاينة من يهود رومانيا وبولندا .. وأقاموا مكانها مستوطنة " جيغات شاؤول بيت " .

وعلى هذا السياق سارت قوات الاحتلال في التقتيل والإبادة لشعب فلسطين وإحلال المعتدين من اليهود مكانه .. ولا ننسى هنا أيضاً على سبيل المثال ما حدث في قرية الداويمة في صبيحة يوم ٢٨ تشرين أول/أكتوبر من عام ١٩٤٨م ؛ حينما اقتحمتها مدرعات الصهاينة تتبعها فرقة من المشاة ، باغتت

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

ذويها وهم في بداية يوم جديد ، وأمطرتهم بوابل من النيران ، وسُويت المنازل بمن فيها بالأرض ، وحاول بعض الشيوخ الاحتماء بالمسجد لكن القوات الصهيونية اقتحمته وقتلتهم بداخله ، فراح ضحية هذه المذبحة أكثر من ١٠٠ فلسطيني ما بين طفل وشيخ وامرأة . وبعدما تم تسوية القرية بالأرض وإبادة أهلها ؛ أقام الغزاة على أنقاضها وفوق أشلاء أصحابها مستعمرة باسم " أماتسيا " !!

وبهذا النهج تابع الصهاينة المجرمون مسلسل التقتيل والإبادة والتدمير بقسوة وبرودة وتخطيط ..! فهل نُذكّر العالم بما حدث في قرية دير سعد .. ومذبحة قرية عليليون .. ومذبحة قبية .. وقلقيلية .. وخان يونس .. وكفر قاسم .. ومجزرة صبرا وشاتيلا .. و.. و.. ، ومذابح أخرى كثيرة يعج بها تاريخ الكيان الغاصب ؛ إنها سلسلة من المذابح الدموية البشعة في حق شعب أعزل ، تريد اقتلاعه من أرضه . فتاريخ الكيان الصهيوني حافل بمجازر كثيرة طالت الأبرياء من المدنيين العزل بشكل فظيع ودائم ، كانت تنفذها في البداية العصابات اليهودية المسلحة ، ثم تابعها جيش الاحتلال الصهيوني بعد إعلان قيام دولة الكيان الغاصب في عام ١٩٤٨م ، ولا يزال جيش الإرهاب الصهيوني يستكمل حلقاتها الرهيبة إلى يومنا هذا .

إن الواقع كله يؤكد بأن " إسرائيل " أقامت كيانها على المذابح والإرهاب ، وأن الإرهاب عنصر أساسي لا حِوَلَ عنه في سياسة الصهاينة ، ويجري في كيانهم مجرى الدماء في العروق . ويكفينا هنا تصريحات بعض رؤساء عصاباتها !! :

◆ فقد قال بن غوريون ذات يوم على سبيل المثال : " علينا أن نتخذ من العمليات العسكرية أساساً للاستيطان وواقعاً يُجبر الجميع على الرضوخ له والانحناء أمامه .. "

◆ ولعل موشيه ديان كان أكثر صراحة في رثاء صديق له قتل في صدام مع الفلسطينيين حينما قال : " لنتوقف اليوم عن قذف الذين قتلوه بالاتهامات ، مَنْ نحن لنناقش حقدهم ؟ ها قد انقضت ٨ أعوام - يقصد منذ ١٩٤٨م إلى عام ١٩٥٦م وقت وقوع الحادث - وحتى الآن وهم يجلسون في مخياماتهم في غزة وتحت أعينهم وأبصارهم نُحوِّل لممتلكاتنا الأراضي والقرى التي عاش عليها آباؤهم وأجدادهم ، نُحل جيلاً من المستوطنين ، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتاً " .

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

◆ غير أن أرييل شارون كان أكثر صلافة في التعبير عن حقيقة سياسة الصهاينة والإصرار على المضي قُدماً في درب الإرهاب والتقتيل والتدمير بتخطيط وبرودة دم ، فقد صرح في الكنيست بعد مقتل الطفلة الرضيعة " إيمان حجو " بنيران دبابة ، قائلاً : " .. إن المعركة التي نخوضها تستدعي تصميماً ودماً بارداً "

والإرهاب " الإسرائيلي " لا يزال يواصل مشروعه بإصرار وإحكام وبرودة منقطعة النظير ، بشتى الأساليب الإجرامية التي يعجز اللسان عن وصفها والعقل عن إدراكها ، إلا عقول بني صهيون من القتلة وعشاق الدماء والخراب ! .

ومسلسل مآسي شعب فلسطين لا يزال مستمراً ؛ مسلسل دموي رهيب جداً ، أمام أعين وأسماع العالم ، وتتوارثه الأجيال تلو الأجيال .

وإذا التمسنا العذر للذاكرة حتى لا نُجهدها كثيراً ! وقفزنا إلى عصرنا الحاضر وإلى شهورنا وأيامنا هذه ، وفتَّحنا أعيننا وبصائرنا نحو ما يقع الآن في فلسطين ، فسنجد " الكارثة " بكل ما للكلمة من معنى .. كارثة شعب يُعدم ببطء .. ويُدفن أبناؤه يوماً بعد يوم ، كما تُدفن آلامه وصيحاته تحت الرمال ؛ حتى لا تُخدش سُمعة الشرعية الدولية ولا تُمس كرامة النظام العالمي العفيف !!

وإذا ما نظرنا إلى الإحصائيات وإلى الأرقام الصماء التي لا تحابي أحداً ؛ فسنجد العار يَخُط بصماته على جبين الإنسانية جمعاء في هذه الحقبة من التاريخ.

لقد وصل عدد القتلى من أبناء فلسطين ما يقارب ٦٠٠ شخص ، وسقط عشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين منذ بداية انتفاضة الأقصى ، والأرقام في ازدياد مستمر كل يوم . وتشير التقارير الدولية الواردة بهذا الخصوص بأن نسبة ٧٨% من هذه الإصابات كانت في النصف العلوي من الجسم ، وأن ٥٠% من الإصابات القاتلة برصاص جيش الاحتلال في قطاع غزة كانت في الرأس ؛ هذا كله يدل دلالة قاطعة على وجود إصرار وتوجيه عام لدى قوات الاحتلال بالقتل وسفك الدماء . وشكلت نسبة الأطفال أقل من ١٨ عاماً حوالي ٤٧% ونسبة ٥٣% فيمن هم فوق ١٨ عاماً .. وأما فيما يخص استخدام أسلحة تحمل اليورانيوم المستنفذ فهذا ما أكدته جهات أجنبية مختصة ، كما يؤكده في أرض الواقع ارتفاع نسب حالات الأورام الخبيثة بين الفلسطينيين في مناطق " الحكم الذاتي " ...

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

وقد تناول تقرير هيئة العفو الدولية الحالة في فلسطين ، وانتقد بشدة طريقة الصهيونيين في معالجة انتفاضة الأقصى ، وأشار التقرير أنه بين ٢٩ أيلول/سبتمبر من عام ٢٠٠٠م حتى نهاية نفس العام قتلت قوات الأمن الإسرائيلية ما لا يقل عن ٣٠٠ فلسطيني وجرحت أكثر من عشرة آلاف ، ومعظم القتلى والجرحى كانوا متظاهرين رشقوا الحجارة أو استخدموا المقاليع ، وعلى الأقل مائة منهم كانوا قاصرين أقل من سن ١٨ عاماً . وجاء في التقرير أن الجيش والشرطة ووحدات القوات الخاصة الصهيونية ، أفرطت في استخدام القوة القاتلة .. واعتبر عدد من الفلسطينيين هدفاً وأعدموا بدون محاكمة ، واستخدم سلاح الجو وسلاح البحرية سلاحاً ثقيلاً من أجل القصف العشوائي ضد الفلسطينيين !!..

هذا كله إضافة إلى الحصار الخانق المضروب على الشعب الفلسطيني ، الأمر الذي ترتبت عنه أزمة اقتصادية قاتلة .. فضلاً عن عربدة " المستوطنين اليهود " واعتداءاتهم الوحشية .

وإذا كانت هذه الممارسات الوحشية بحق الإنسان الفلسطيني ربما لأنه يُضايق المحتل بوجوده ..! فما ذنب البيئة والأشجار ؟!! وأي خطر تشكله الشجرة على المحتل ؟! وما بال أنصار البيئة وحُماتها صامتين هذه المرة ؟! ويغضون الطرف هم أيضاً عن أعداء الشجر والثمر ؟! فقد تم اقتلاع حوالي ٩٣ ألف شجرة من مختلف الأصناف ..

هل هذه الحقائق مجهولة في عالمنا اليوم ؟!! .. في زمن العولمة والشفافية والوضوح .. !! فلماذا إذن هذا الصمت الرهيب ؟! ألا من صرخة تعلو وتدوي في أرجاء الأرض مستنكرة هذه الأعمال اللاإنسانية !

إن هذا الصمت العالمي تجاه هذه الكارثة الإنسانية في فلسطين لأكثر إيلاماً ومدعاة للحزن والأسى . ويا ليت الأمر يقف عند الصمت ؛ بل نجد أقسى من ذلك يصدر من دولة تعتبر راعية السلام والشرعية في العالم ؛ حينما صوتت بالفيتو ضد مشروع إرسال حماية دولية لهذا الشعب الأعزل ! الذي كان ذنبه أنه وُجد فوق أرض فلسطين !! ويبلغ الظلم ذروته حينما تساوي جهات كثيرة بين المجرم والضحية ؛ بين عنف الحجارة وعنف الدبابة والأباتشي و .. ، بين أعتى آلة عسكرية وأكثرها همجية وبين أطفال لا يملكون إلا الحجارة للدفاع عن وجودهم وحقهم في الحياة .

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

ولماذا اهتز العالم بأسره للانفجار الأخير في " تل أبيب " وتحرق الضمير العالمي لهذا الحادث .. ولم يُلق بالاً للانفجارات التي تحدث يومياً بأحدث الآليات الحربية وأعنفها .. ؟! ولماذا لم يدفعهم الأسى والحزن للبحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الأوضاع المتردية ؟! ولا يسعني هنا إلا أن أوردَ شهادة واقعية سمعتها بأذني : أبو كريم أخ فلسطيني عزيز مقيم في ديار المهجر معنا ، وأهله لا يزالون في غزة السليبة ، وإثر قصف صهيوني للحي الذي يقطنه أهله بغزة ، بادر بالاتصال هاتفياً حتى يطمئن على ذويه ؛ وإذا بأخته تجيبه قائلة : نجدك مهتماً وقلقاً كثيراً علينا .. فمِمَّ الخوف ؟! إن الموت هو أرحم لنا بكثير من أوضاعنا هذه ..! نعم إلى هذه الدرجة وصلت معاناة الإنسان الفلسطيني .. أن يكون الموت أرحم له ..! وأن تنطق امرأة بهذا المنطق .. فأي شيء بعد ذلك ؟!

وفي بحث ميداني أجرته بعض الدوائر مع أطفال فلسطين ؛ ممن قُتِل ذوُوهم أو أقرباؤهم وأصدقاءهم .. أو خربت منازلهم ، وجدوا أن أمنياتهم في أن يكبروا ويتمكنوا من السلاح والقنابل ليثأروا لأهلهم وأرضهم من المجرمين الغاصبين .. فهذه هي أمنيات طفولة فلسطين !! وهذا فضلاً عن أن " إسرائيل " قد أقرت بتعذيب " القنابل الفلسطينية الموقوتة " بشتى أصناف التعذيب ، وأكدت ذلك صحفية " معاريف " الصادرة يوم الأثنين ٤ حزيران/يونيو ٢٠٠١م نقلاً عن مصدر في " المخابرات الإسرائيلية " والذي قال : " إن التعذيب نجح في انتزاع معلومات هامة ساهمت فعلاً في إحباط عدد من العمليات ضد الأهداف الإسرائيلية " .

فلماذا كل هذا الظلم ؟ ولماذا الكيل بمكيالين ؟ ألا تكفي كل هذه الحقائق حتى ينهض الضمير الإنساني ؟! وهل المعلومات عن هذه الكارثة الإنسانية غائبة ؟! أم أن العالم وأصحاب القرار فيه يقرؤونها بعيون أخرى ! وإذا كان الضمير العالمي لا يزال يتحرق على مآسي الماضي ويتحسر عما جرى في حق الإنسانية من جرائم ؛ فلم نجده تجاه مأساة فلسطين يظل صامتاً ولا يحرك ساكناً ! أم أن دماء الفلسطينيين ودموعهم أرخص بكثير من أن يتحرك لها الضمير العالمي أو أن يتحرق من أجلها !! **إن التاريخ لن ينسى جريمة الذين أقاموا الكيان الغاصب وسخروا له الإمكانات ، وفرضوا باسم " الشرعية الدولية " الظلم والظلام ، وأنهم اليوم - باسم السلام - يريدون سلب ما تصدقت به شرعيتهم الجائرة ، وهذا الظلم المستمر سيبقى المحرك للمواجهة مع الصهاينة ومن وراءهم من قوى الاستكبار**

عنوان المقال : مأساة فلسطين .. ومسألة الضمير !!	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

والظلام .. ما بقي على الأرض مسلم يوحد الله تعالى .

وإذا كان الموقف الدولي بهذا الجفاء والانحياز الفاضح ..! فماذا نقول حيال هذا الموقف الذليل وهذا الصمت المخزي من الحكومات والشعوب العربية والإسلامية ؟!! الحقيقة هنا يعجز اللسان عن الكلام ويقف القلم عن الكتابة !!.